

فَضْلُ الصِّيَامِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الصَّائِمُونَ

إحوة الإيمان: اتقوا الله تعالى فإن تقوى الله جلّ وعلا أساس السعادة وسبيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة والعاقبة دائماً وأبداً لأهل التقوى، عباد الله: فالرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ هُوَ الصِّيَامُ، فَصَوْمُ رَمَضَانَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَفَرَضَ مِنْ فُرُوضِ اللَّهِ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، مِنْ أَنْكَرِهِ فَقَدِ كَفَرَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالِيَكُمُ جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الصَّوْمِ، لَا تَخْلُو عِبَادَةَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ بِهَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ فَضَائِلِهِ، فَلِلصَّلَاةِ وَاللِّزَاكَةِ فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ، وَكَذَا لِلْحَجِّ، وَكَذَلِكَ لِلصَّوْمِ، لَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُحْكَمَاتٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ تُحْضِرُ عَلَى الصَّوْمِ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتُبَيِّنُ فَضَائِلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِلِينَ وَالْقَائِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب] فَأَدْخَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ فِي هَذَا الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَفِي هَذِهِ الْمَغْفِرَةِ الْوَسِيعَةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَائِلَاتِ مِنْ سُنَّتِهِ أَنَّ الصَّوْمَ حِصْنٌ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَمِنْ النَّارِ حِجَّةٌ أَيْ وَقَايَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ الصَّوْمَ وَالصَّائِمِينَ بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ وَأَنَّهُ يَفْطُلُ الْأَنْفُسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَيَجْبِسُهَا عَنْ مَالُوفَاتِهَا؛ حَتَّى تُصْبِحَ مُطْمَئِنَّةً، وَهَذَا الْأَجْرُ الْوَفِيرُ وَالْفَضْلُ الْكَبِيرُ تَفْضُلُهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ أَحْسَنُ تَفْصِيلٍ، وَتُبَيِّنُهُ أُمَّ بَيَانٍ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّوْمُ حِجَّةٌ أَيْ وَقَايَةٌ، وَمِنْهُ الْمَجْتَنُّ أَيْ: الدَّرَجُ الَّذِي يَجْعَلُهُ الْمُقَاتِلُ عَلَى صَدْرِهِ؛ لِيَقْبَهُ يَبَالُ وَسُيُوفٌ وَرِمَاحٌ أَعْدَائِهِ، فَالصِّيَامُ قَاطِعٌ لِمَادَّةِ الشَّهْوَةِ كَمَا بَيَّنَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ يُجْبِسُ قُوَى الْأَعْضَاءِ عَنِ اسْتِزْسَالِهَا، وَيُسَكِّنُ كُلَّ غَضُوٍّ مِنْهُ، وَيُسَكِّنُ كُلَّ قُوَّةٍ، وَيَمْنَعُهَا مِنْ جُنَاحِهَا، أَيْ مِنْ إِثْمِهَا وَجِرْمِهَا وَيُلْجِمُهَا بِلِجَامِهَا، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ لِلصَّوْمِ تَأثيرًا عَجيبًا فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، فَالصِّيَامُ عَامَةٌ وَفِي رَمَضَانَ خَاصَّةٌ ذُو أَثَرٍ مُبَاشِرٍ فِي تَهْدِيبِ النَّفْسِ رُوحِيًّا وَخَلْقِيًّا وَعَقْلِيًّا وَبَدَنِيًّا؛ لِيَكُونَ اللِّجَامُ لِلنَّفْسِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الصَّوْمَ يَمْنَعُ الشَّهَوَاتِ، وَيَكْسِرُ جِدَّتَهَا، فَالشَّهَوَاتُ تُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ، فَإِذَنْ؛ حَالُ الصِّيَامِ بَيْنَ الصَّامِ وَالنَّارِ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ مُصَرِّحَةً بِأَنَّ الصِّيَامَ حِصْنٌ مِنَ النَّارِ، وَحِجَّةٌ يَسْتَجِزُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصِّيَامُ حِجَّةٌ يَسْتَجِزُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ؛ أَيْ وَقَايَةٌ وَدَرَجٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاقِيًا لِلْعَبْدِ أَنْ تَلْفَحَهُ النَّارُ وَأَنْ يَجِدَ مَسَهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ حَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ كُلَّ الصَّوْمِ إِذَا كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ تَعَالَى، وَفَقَّ مَا بَيَّنَّهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا صَامَ الْإِنْسَانُ يَوْمًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ الصَّوْمُ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاعِدُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَيَجْعَلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ حَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّوْمُ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ يُبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يُبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ؛ فَهُوَ يُبَدِّئُهُ وَيَقْرِبُهُ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَهُوَ إِذَنْ فِي بُحْبُوحَةِ الْجَنَّةِ وَهِيَ وَسَطُ كُلِّ شَيْءٍ وَخِيَارُهُ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذُلُّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ، فَأَرْشَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ السُّؤَالِ عَنْ عَمَلٍ مُفْرَدٍ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ أَيْ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الْجَامِعِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَهُوَ عَمَلٌ مَحْبُوبٌ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ، يَعْنِي لَوْ عَلِمْتُ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ لَدَلْتُكَ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ الصِّيَامُ فِي الشَّرْعِ؟ هُوَ: إِسْكَانُ مَخْصُوصٍ عَنِ الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَالْجَمَاعِ، بِنَيْتِهِ مَخْصُوصَةً، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَتَمَامِهِ، وَكَوَالِهِ بِاجْتِنَابِ الْحَرَمَاتِ، كَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيَةِ وَالْكَذْبِ وَالنَّظَرَ بِالشَّهْوَةِ وَالْيَمِينَ الكاذِبَةَ، وَعَدَمِ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْظُورَاتِ كُلِّهَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] وَقَالَ أَيْضًا: رَبُّ صَائِمٍ حِطَّةٌ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعَ، وَالْعَطَشَ [أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ] فَرَمَضَانَ مَدْرَسَةً تَرْبِوِيَّةً، وَلِنَا فَالصَّائِمُونَ الْحَقِيقُونَ يُوقِفُونَ أَجُورَهُمْ مِنَ اللَّهِ مُبَاشَرَةً وَيَغَيِّرُ حِسَابًا، وَأَنَّ الصَّائِمَ يَفْرَحُ مَرَّتَيْنِ: الْفَرَحُ الْأُولَى: يَفْرَحُهَا عِنْدَ فِطْرِهِ، وَهَذِهِ الْفَرَحُ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا، عِنْدَ انْتِهَاءِ صَوْمِهِ وَأَفِطْرِهِ، وَالثَّانِيَةُ الْعِبَادَةُ رَاجِعًا مِنَ اللَّهِ الثَّوَابَ وَالْفَضْلَ، وَالْفَرَحُ الثَّانِيَةُ تَكُونُ عِنْدَ مَوْتِهِ، حَيْثُ يَنَالُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الصِّيَامُ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادَاتِ إِلَى اللَّهِ، وَأَجَلُ الْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ لِزَبْتِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ أَجْرَهُ كَبِيرٌ، وَقَضَاهُ عَظِيمٌ، وَكَرَامَةُ اللَّهِ لِلصَّائِمِينَ لَا تَنْقَطِعُ؛ فَإِنَّهُمْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالشَّهْوَةَ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَاسِعِ عَطَائِهِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَجَبَّرْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ مِنْ وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالطَّاعَةِ، يُضَاعَفُ أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ، فَتَكُونُ الْحَسَنَةُ فِيهِ بَعْشَرَ أَمْثَلِهَا، إِلَى سَبْعِينَ مِائَةً ضَعِيفٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا، يَقُولُ اللَّهُ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَجْرِي بِهِ، أَيْ: إِنَّ الصَّوْمَ مُسْتَسْتَنَى مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ، بَلْ ثَوَابُ الصَّوْمِ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؛ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوْمَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا.

خطبة الجمعة ليوم 07 مارس 2025 م